منهجية التعاطي مع السيرة النبوية
في ضوء قيم السِّلْم والرحمة

إعداد

أ.د/ رضا محمود محمد السعيد

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

جامعة الأزهر

منهجية التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السِّلْم والرحمة

رضا محمود محمد السعيد.

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية: أصول الدين والدعوة- جامعة الأزهر - مصر.

البريد الإلكتروني: RedaMahmoud.2011@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان المنهجية الصحيحة للتعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة، وأهميتها في تعزيز التسامح والتعايش في المجتمعات الإنسانية المعاصرة، والآليات الصحيحة التي ينبغي على الباحثين والدارسين الالتزام بها في دراسة السيرة، وبيان معالم الرؤية الجديدة في التعاطي معها وأهميتها في الرد على الجماعات المنحرفة وبيان صحيح الإسلام، وقد أكد البحث ضرورة استنباط قيم التسامح والتعايش من نصوص السيرة النبوية وأحداثها، وأهمية تجلية المقاصد الإنسانية للدعوة الإسلامية من خلالها، وضرورة دراستها في ضوء المقاصد الشرعية للإسلام، وتعزيز المنهج التكاملي الشامل لكل العلوم الإسلامية في التعاطي معها. وقد أوصت الدراسة بضرورة أن تهتم المؤسسات العلمية والأكاديمية بالدراسات المنهجية والتأصيلية للعلوم الإسلامية المتنوعة، بهدف إيجاد التوافق بينها ومتطلبات الواقع المعاصر، وضرورة أن تهتم المؤسسات الإعلامية بإعادة النظر في الأعمال التاريخية السينمائية وفق هذه المنهجية التي أصلنا لها في هذه الدراسة؛ حتى لا تكون أداة في تشويه صورة الإسلام وسيرة النبي ﷺ.

الكلمات المفتاحية: منهجية، التعاطي، السيرة النبوية، قيم، السلم، الرحمة.

The methodology of dealing with the Prophet's biography in light of the values of peace and mercy

Reda Mahmoud Mohamed Al-Saeed.
Department: Da`wah and Islamic Culture, College: Theology and Da`wah - Al-Azhar University - Egypt.
Email: RedaMahmoud.2011@azhar.edu.eg

Abstract :

The research aims to clarify: The correct methodology for dealing with the Prophet's biography in light of the values of both peace and mercy. The significance of these in promoting the values of tolerance and coexistence in contemporary human societies. The correct mechanisms that researchers and scholars should adhere to in studying the biography. The features of the new vision in dealing with these absolute values and their importance in response to deviant groups and a statement of true Islam. The research emphasizes: The need to derive the values of tolerance and coexistence from the texts of the Prophet's biography and its events. The importance of clarifying the human objectives of the Islamic Da'wah through it. The need to study that absolute values in the light of the legitimate objectives of Islam, and strengthen the comprehensive integrated approach to all Islamic sciences in dealing with them.The study recommends paying scientific and academic institutions' attention to the need for the methodological and original studies of the various Islamic sciences, in order to find compatibility between them and the requirements of contemporary reality. With the view of not being a tool in distorting the image of Islam and the biography of the Prophet, may Allah's peace and blessings be upon him.

Keywords: Methodology- Biography Of The Prophet- Values- Peace- Mercy.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،،،

فتُعد السيرة النبوية من أهم مصادر التشريع في الإسلام، فضلًا عن كونها من أهم مظان المعرفة والثقافة الإسلامية؛ وذلك لأنها بمثابة التطبيق العملي للنبي محمد ﷺ الذي جسد من خلاله شرائع الإسلام ومبادئه المتعددة؛ لذا فقد عُني بها المسلمون قديمًا وحديثًا، من حيث التأليف والشرح والتحليل والاختصار وإخضاع رواياتها للتصحيح والتضعيف وغير ذلك من المناهج العلمية المتنوعة، ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقط؛ بل كانت السيرة النبوية – وما زالت – مصدرًا مهمًا من المصادر التي اعتمد عليها الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية والتقعيد لها والاعتماد عليها في الترجيح بين الأقوال والأدلة الشرعية، حتى غدت السيرة النبوية – بناء على هذه العناية – علمًا من العلوم الشرعية له أصوله ومداخله ومفاهيمه الخاصة التي لا يستغني عنها الباحث في الإسلام ومراحل التشريع الإسلامية.

وقد كان من سُبل العناية والاهتمام بالسيرة النبوية حِرْص السلف الصالح رضي الله عنهم على تعلمها وتعليمها لأولادهم، فقد ورد عن زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي رضي الله عنهم، قال: كنا نعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّم السّورة من القرآن.

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزّهري المدنيّ قال: كان أبي يعلّمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدّها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

وعن الزهري قال: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة(١).

١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، (٤/ ١٠)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

ولعظيم مكانة السيرة النبوية في الإسلام أصبحت المصدر الرئيس الذي قامت عليه قواعد وأسس النظم الإسلامية سواء أكانت السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها من النظم المتنوعة التي تشكلت بشكل فعلي في مجتمع المدينة المنورة بقيادة النبي ﷺ، وسار عليها من بعده الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

ولأهمية السيرة النبوية وما جاء فيها من وقائع وأحداث حرصت المدارس الفكرية والمذهبية التي انتسبت إلى الإسلام على دراستها وما ورد فيها من نصوص وروايات ومحاولة توظيف هذه النصوص وتلك الروايات في دعم مبادئها وتقوية مذاهبها والاستدلال بها على صحة ما ذهبت إليه من أقوال وآراء دينية أو مجتمعية.

لذا فإننا إذا قمنا بدراسة كل ما كتب عن السيرة النبوية قديمًا وحديثًا وأثر هذه الدراسات في المسارات المتعددة للفكر الإسلامي سنجد التنوع الشديد والتباين الظاهر بين كل هذه الدراسات وما انتهت إليه من نتائج ومخرجات؛ برغم أن النص واحد لم يتغير.

وقد كانت السيرة النبوية حاضرة بشكل قوي وواضح في أيدولوجيات الجماعات المنحرفة التي حرصت على الاستدلال بها في إثبات صحة ما ذهبت إليه من انحراف وضلال، بغير وعي علمي أو منهجي نتج عنه تطرف في الفهم والممارسة، فضلًا عن تشويه صورة النبي محمد ﷺ وسيرته المباركة.

ومن ثم تأتي أهمية هذه الدراسة التي نحاول فيها التنظير لمنهجية صحيحة لدراسة السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث والدراسة من خلال ما يلي:

١) تعدد الدراسات المتنوعة المعاصرة في السيرة النبوية مع خلو كثير منها من بيان قيم السلم والرحمة، وربطها بالواقع المعاصر.

٢) بيان ضلال وانحراف الأفكار المنحرفة والمتشددة في فهم السيرة النبوية ومنهجية عرضها ودراستها.

٣) محاولة الإسهام في الحد من أفكار الغلو والتطرف التي انتشرت في أوساط الشباب بسبب الفهم والتطبيق الخاطئ للسيرة النبوية وأحداثها.

٤) المشاركة في تعزيز قيم السلم والرحمة والتسامح والتعايش في المجتمعات الإنسانية المعاصرة.

٥) دفع الشبهات ورد الأباطيل التي وردت حول السيرة النبوية والنبي محمد ﷺ من قبل المغرضين والمشككين.

٦) الإسهام في الحد من الأفكار اللادينية ببيان صحيح السيرة النبوية ونقض ما ورد عنها من أوهام الملحدين والمشككين.

٧) التنظير لمنهج وسطي معتدل صحيح لفهم السيرة النبوية وتنزيلها على الواقع المعاصر، بشكل علمي دقيق.

المناهج العلمية المتبعة في البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على مناهج بحثية متعددة؛ وذلك لأن طبيعة البحث والدراسة تقتضي ذلك، وهي كما يلي:

أولًا: المنهج التحليلي النقدي، ويقصد به: «دراسة الموضوع وتحليله، ومقارنته بما يشابهه، ثم الحكم له أو عليه، بتوضيح قيمته»[١].

ثانيًا: المنهج التاريخي، ويقصد به: «تتبع ظاهرة تاريخية، من خلال أحداث أثبتها المؤرخون، أو ذكرها أفراد، أو تناقلتها روايات، على أن يخضع الباحث ما حصل عليه من بيانات وأدلة تاريخية للتحليل النقدي، للتعرف على أصالتها وصدقها»[٢].

١) البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، د/ محمد الصاوي محمد مبارك، (صـ ٣٠)، المكتبة الأكاديمية – القاهرة – ط: الأولى (١٩٩٢م).

٢) المصدر السابق، ص ٣١.

وقيل: دراسة الحوادث والوقائع الماضية وتحليل المشكلات الإنسانية، والوقائع الاجتماعية، وفهمها، لمحاولة فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل[١].

تساؤلات البحث والدراسة:

تأتي هذه الدراسة لتطرح عدة تساؤلات علمية ومجتمعية وتجيب عليها، وذلك مثل:

١) ما الطريقة المثلى لدراسة السيرة النبوية وتدريسها؟
٢) ما أهمية دراسة السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة؟
٣) ما آليات التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة؟
٤) ما أثر الفهم والتطبيق الخاطئ للسيرة النبوية على قيم التسامح والتعايش في المجتمعات المعاصرة؟
٥) ما علاقة هذه الدراسة بتجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر؟

طريقة العمل في هذا البحث:

١) عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من سور القرآن الكريم، مع مراعاة الدقة في كتابة النص القرآني.
٢) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها المعتمدة عند المحدثين، مع إيراد حكم العلماء عليها، خلا الصحيحين.
٣) عزو الأقوال والآراء إلى أصحابها مع مراعاة الأمانة العلمية في ذلك، مع ذكر أقوالهم بالنص أو بتصرف.
٤) الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث قدر الاستطاعة.
٥) كما قمت بالرجوع إلى الكتب المعتمدة في السيرة النبوية، وذلك عند ذكر النصوص والروايات.

١) مناهج البحث الفلسفي، د/ محمد أحمد مصطفى السرياقوسي، (صـ ٧٩ بتصرف)، دار الثقافة – القاهرة – (١٩٩٠م).

خطة البحث والدراسة: تحتوي خطة البحث والدراسة على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الثاني: أهمية التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة.

المبحث الثالث: آليات التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قِيم السِّلْمِ والرحمة.

المبحث الرابع: كيف يمكن تقديم رؤية جديدة في التعاطي مع السيرة النبوية؟

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث

قبل الحديث عن منهجية التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة يحسن بنا أن نعرف بمفردات عنوان البحث والدراسة، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: المنهجية

تأتي كلمة "المنهج" في معاجم اللغة العربية ويقصد بها الطريق الواضح والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وفي ذلك يقول ابن فارس – رحمه الله –: "(نَهَجَ) النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ"(١).

وجاء في لسان العرب: "وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وَصَارَ نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً، والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ"(٢).

ومن ثم فإن كلمة "المنهجية" هنا في هذا البحث نقصد بها الطريقة المثلى الواضحة والمستقيمة التي يجب أن نتعامل بها مع السيرة النبوية وما ورد فيها من روايات وأحداث وفق قيم السلم والرحمة، ومقتضيات الواقع المعاصر ومستجداته.

وتظهر أهمية هذه المنهجية في الوقت الراهن لتعدد المناهج والطرق المتباينة التي تم التعامل بها مع السيرة النبوية من قبل بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة، الذين جعلوا منها وأحداثها مجرد روايات قصصية تُحكى فقط للأطفال للتسلية أو على المنابر للتأثير العاطفي في نفوس المدعوين فقط، ومنهم – للأسف الشديد – اتخذ من السيرة النبوية ورواياتها ذريعة لنشر أفكار التطرف والعنف بعيدًا عن قيم السلم والرحمة التي أُرسل النبي ﷺ من أجل ترسيخها وتعزيزها بين الأفراد والمجتمعات.

---

١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (٥/ ٣٦١)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (٢/ ٣٨٣)، الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – (١٤١٤هـ).

لذا تظهر لنا مسيس الحاجة لهذه المنهجية التي سنؤصل لها في ثنايا البحث والدراسة.

ثانيًا: التعاطي

تأتي كلمة "التعاطي" في اللغة العربية ويقصد بها: التناول، فقد جاء في المعجم الوسيط: "(تعاطى) الرجل قَامَ على أَطْرَاف أَصَابِع الرجلَيْن مَعَ رفع الْيَدَيْنِ إِلَى الشَّيْء ليأخذه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {فتعاطى فعقر} وَالْقَوْم تعاقبوا فِي التعاطي وَالشَّيْء تنَاوله وَالْأَمر رَكبه"(١).

وفي ضوء ما ورد من بيان لكلمة التعاطي في اللغة العربية، فإننا نقصد بها في هذا البحث "التناول"؛ حيث إننا سنؤصل لمنهجية معتبرة تصلح لتناول السيرة النبوية وتحليلها وعرضها على المسلمين وغيرهم؛ محاولة منا الإسهام في بيان سماحة الإسلام وعدالته للمسلمين وغيرهم.

ثالثًا: السيرة النبوية

جاءت كلمة السيرة في معاجم اللغة وقُصد بها: "الطَّرِيقَةُ. يُقَالُ: سارَ بِهِمْ سِيْرَةً حَسَنَةً. والسَّيرَةُ: الهَيْئَةُ"(٢).

و"السِّينُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيٍّ وَجَرَيَانٍ، يُقَالُ سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا، وَذَلِكَ يَكُونُ لَيْلًا وَنَهَارًا. وَالسِّيرَةُ: الطَّرِيقَةُ(٣).

والسيرة النبوية في الاصطلاح: "هي الأساس الكامل لدعوته الكريمة التي أضاءت المشارق والمغارب، وملئت العالم بالهدى والنور، ومن أجل ذلك كانت أهمية هذه السيرة الوضاءة العطرة للمسلمين بل للإنسانية جمعاء حيث تناقلتها الأمم والشعوب جيلًا بعد جيل، ثم سجلت بعد ذلك على مختلف العصور في كتب يضيق

١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (٢/ ٦٠٩)، الناشر: دار الدعوة، بدون.

٢) لسان العرب، (٤/ ٣٩٠).

٣) مقاييس اللغة، (٣/ ١٢٠).

بها الحصر والتعداد، وسوف تظل الكتابة فيها متصلة الحلقات إلى أن تنفطر السماء وتنكدر النجوم وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات"[١].

رابعًا: ضوء

كلمة "ضوء" تطلق ويراد بها "النور" أو "الاستشارة عند الحيرة"، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: "الضاد ، والواو ، والهمزة أصل صحيح يدل علي نور، من ذلك: الضَّوء، والضُّوء بمعني واحد، وهو الضياء، والنور قال تعالي ﴿ **فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾[٢]"[٣].

ووفق هذا المعنى فإننا نقصد بكلمة "ضوء" في هذا البحث جعل قيم "السلم" و"الرحمة" نورًا وضياء نستضيء به عند التعاطي مع السيرة النبوية؛ حتى نستطيع الوقوف على القيم الإنسانية في السيرة النبوية.

خامسًا: القيم

تأتي كلمة القيمة في اللغة ويراد بها ثمن الشيء وقدره، فقد جاء في المعجم الوسيط: "قيمَة الشَّيْء قدره وَقِيمَة الْمَتَاع ثمنه"[٤].

وجاء في لسان العرب: "والقِيمَةُ: وَاحِدَةُ القِيَم، وأَصله الْوَاوُ لأَنه يَقُومُ مَقَامَ الشَّيْءِ. والقِيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيم"[٥].

سادسًا: السلم

جاء في لسان العرب: «السَّلَمُ: الاسْتِسْلامُ، والتَّسالُمُ: التَّصالُحُ، والمُسالَمَةُ: المُصالحة، والسَّلامُ: الاسْتِسْلامُ، وَحُكِيَ السِّلْمُ والسَّلْمُ الاسْتِسْلامُ وَضِدُّ الْحَرْبِ أَيضاً»[٦].

---

١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، (صـ ٨)، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

٢) (البقرة:١٧).

٣) معجم مقاييس اللغة ، (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦).

٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢/ ٧٦٨).

٥) (١٢، ٥٠٠).

٦) لسان العرب، (١٢/ ٢٩٣).

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحوا لِلسَّلمِ فَاجنَح لَها وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ**﴾[1] فمعنى: ﴿**وَإِن جَنَحوا**﴾ أَيْ: مَالُوا ﴿**لِلسَّلمِ**﴾ أَيْ: الْمُسَالَمَةِ وَالْمُصَالَحَةِ وَالْمُهَادَنَةِ[2].

ومن ثم فإن مفهوم "السلم" يقصد به حالة السلام والوئام الإنساني التام داخل بيئة المجتمع صغيرًا كان أو كبيرًا، ولا مناص من كونه عنصرًا أساسيًا من عناصر بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، وعاملًا حفازًا في حيازة الأمن والاستقرار في المجتمع، وبفقده تتمهد السبل لضياع الأمن وتزعزع الاستقرار.

سابعًا: الرحمة

جاء في مقاييس اللغة: "الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ. وَالرُّحْمُ وَالْمَرْحَمَةُ والرَّحْمَةُ بِمَعْنًى"[3].

وجاء في لسان العرب: "الرَّحْمة: الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، والمرْحَمَةُ مِثْلُهُ، وَقَدْ رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. والرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ"[4].

ووفق هذه المعاني الخاصة بكلمة "الرحمة" فإننا سنقوم بتحديد الآليات والمنهجية الصحيحة لدراسة السيرة النبوية التي ننتهي من خلالها لتعزيز قيم السلم والرحمة في المجتمع.

---

١) (الأنفال: ٦١).

٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٨٣)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٣) مقاييس اللغة، (٢/ ٤٩٨).

٤) لسان العرب، (١٢/ ٢٣٠).

المبحث الثاني: أهمية التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة

يحسن بنا قبل الحديث عن منهجية التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة أن نتحدث عن أهمية هذه المنهجية، وهي كما يلي:

أولًا: استنباط قيم التسامح والتعايش والرحمة من نصوص السيرة وأحداثها

فقد تعددت قيم التسامح والتعايش في السيرة النبوية من خلال أحداثها ووقائعها، وكان من المتوقع أن تهتم الدراسات الإسلامية – الفردية والمؤسسية – باستنباط هذه القيم واستخراجها لتعزيزها في المجتمعات الإنسانية المتنوعة، وتقديمها كنموذج معتبر للصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين، ولكن ما حدث أننا وجدنا أغلب هذه الدراسات – القديمة منها والمعاصرة – تهتم بمجرد السرد القصصي والتاريخي فقط، ومنها من اهتم بتجلية جوانب الصراع القائم – بشكل عارض – بين المسلمين والمشركين في العهد النبوي محاولًا تطبيق هذه الجوانب على المجتمعات الإنسانية اليوم.

لذا كان من المهم أن نؤطر لمنهجية صحيحة لدراسة السيرة النبوية تُعنى بضرورة استخراج قيم التسامح والتعايش التي جاء بها الإسلام وأكدها الواقع العملي للنبي ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعًا؛ حتى نستطيع الإفادة من هذه القيم وتطبيقها على النحو المطلوب في المجتمعات الإنسانية اليوم.

ونحن إذا رحنا نستقصي النماذج والوقائع التي تؤكد قيم التسامح والتعايش والرحمة في السيرة النبوية فلن يسعنا هذا المقام، وإنما حسبنا أن نذكر طرفًا منها يؤكد ما ندعو إليه، ومن ذلك على سبيل المثال: ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا"[1].

---

١) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، (٢/ ٦٠٣)،

تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م).

وما ورد عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" (١).

ومن خلال هاتين الروايتين تتجلى لنا رحمة النبي ﷺ بالناس جميعًا، فقد خاطبهم بحرمة الدماء والأموال والأعراض، ولم يفرق في خطابه بين المسلمين وغيرهم؛ تأكيدًا على أن حرمة الدم والمال والعرض يتساوى الناس فيها جميعًا عند الله تعالى دون النظر إلى اختلاف الدين أو العرق أو اللون، وهذا التحريم وما ينتج عنه هو أصل استقرار المجتمعات الإنسانية وركيزة التعايش والتسامح بين الناس جميعًا.

كما تظهر رحمة النبي ﷺ في الرواية الثانية التي توعد فيها من فرق بين والدة وولدها بالعذاب الشديد يوم القيامة؛ فقد جاء الخطاب هنا أيضًا عامًا يشمل المسلمين وغيرهم ، وهذا يؤكد إنسانيته ﷺ ورحمته التي أرسله الله سبحانه وتعالى بها.

ثانيًا: الرد على الجماعات المنحرفة والمتطرفة في فهم السيرة النبوية

تحرص الجماعات والتيارات المتطرفة على تبرير تطرفها ومواقفها الغير شرعية من خلال السيرة النبوية وسرد بعض النصوص والأحداث التي تتدعي أنها تمثل الفهم الصحيح لها، ومن ثم فإن المنهجية الصحيحة والمعتبرة – التي ندعو لها – في التعاطي مع السيرة النبوية تمدنا بالأصول والأسس التي من خلالها نستطيع الرد على هذه الجماعات ونقض أفكارها ومبادئها وتفنيد زعمها.

والاستدلال بالسيرة النبوية منهج قد سلكه كثير من العلماء والمحققين في بيان صحيح الإسلام وكشف زيف هذه الجماعات، ولنضرب لذلك مثلًا وهو: ما تدعيه جماعات العنف والتطرف حول "**الجهاد في الإسلام**"، وأن الأصل فيه جهاد الطلب لا الدفع؛ بهدف صبغ أفكارها وعملياتها الإرهابية والمتطرفة في المجتمعات الآمنة

١) سنن الترمذي، ك/ السير، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ السَّبْيِ، (٣/ ١٨٦)، رقم (١٥٦٦)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت – (١٩٩٨م). قال الإمام الترمذي رحمه الله: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ، كَرِهُوا التَّفْرِيقَ بَيْنَ السَّبْيِ بَيْنَ الوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا، وَبَيْنَ الوَلَدِ وَالوَالِدِ، وَبَيْنَ الإِخْوَةِ.

والمسالمة بصبغة المشروعية [١]، مستدلين على ذلك ببعض النصوص والروايات التي وردت في السيرة النبوية، ولو أنهم قد رجعوا إلى الراسخين والمحققين من أهل العلم في فهم مسألة الجهاد وما ورد فيها من نصوص وأحداث في السيرة النبوية لتأكد لديهم انحراف فكرهم وفهمهم لها، وفي ذلك يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: "وإن الذي نراه من سيرة النبي ﷺ ومن سيرة الذين خلفوه في حمل مصباح هذا الدين إلى البلاد، يثبت لنا أن النبي ﷺ مكث ثلاث عشرة سنة يدعو إلى العقيدة الوحدانية بألا يعبدوا إلا الله تعالى وحده لا يشركون به شخصًا مهما سمت منزلته، ولا وثنًا مهما توارثوا تقديسه، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، فتبعه ضعفاء مكة وعبيدها وبعض كبرائها، كأبي بكر وعثمان وعمر، فأنزل المشركون الأذى الشديد بالمؤمنين وخصوصًا بالضعفاء، ولم يسلم من الأذى حتى النبي ﷺ، إلا من كان ذا بطش شديد كعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب، فأمثالهما سلموا نسبيًا من الأذى؛ لأنهم بقوة أبدانهم وفروسيتهم يستطيعون أن يثأروا لأنفسهم.

والنبي ﷺ يصبر ويصابر ويداوي النفوس المكلومة بالموعظة الحسنة والتسرية المواسية، ولكن أذى المشركين موصول غير مقطوع، حتى بلغ بهم الطغيان واللجاجة في الباطل أن هموا بقتل النبي ﷺ، ودبروا الأمر ولم يترددوا في تنفيذ ما دبروا، وأحاطوا ببيته يريدون الهجوم برجال جمعوهم من القبائل ليضربوه ضربة رجل واحد فيذهب دمه الكريم هدرًا...

ونتهي من هذه النصوص ومن هذا السياق التاريخي إلى أن النبي ﷺ قاتل لأمرين:

الأمر الأول: دفع الاعتداء، وقد وقع الاعتداء على الأنفس والأموال بالفعل.

الأمر الثاني: تأمين الدعوة الإسلامية لأنها دعوة الحق، وكل مبدأ سام يتجه إلى الدفاع عن الحرية الشخصية، يهم الداعي إليه أن تخلوا له وجوه الناس، وأن

١) سلسلة العلاقات الدولية في الإسلام، أبي جندل فارس بن أحمد آل شويل الزهراني الأزدي، (صـ ٢١).

يكون كل امرئ حرًا فيما يعتقد، يختار من المذاهب ما يراه بحرية كاملة، ويختار ما يراه أصلح وأقرب إلى عقله.

ومن المؤكد أن محمدًا ﷺ لم يكن قد أكره أحدًا على الإيمان به، وإذا كان قد أظهر بعض الأعراب لما رأوا من قوة المسلمين وجيوشهم فمحمد لم يرحب بذلك، وإن كان قد رجا أن يكونوا مؤمنين باختيارهم.

وإن قتال محمد ﷺ كما يدل السياق السابق لم يكن للإكراه بل كان للدفع"[1].

وفي ضوء ما ذكرناه عن الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله يتضح لنا بكل جلاء ضرورة فهم السيرة النبوية فهمًا صحيحًا من خلال ضوابط وقواعد تفضي بنا إلى الرد على الجماعات المتطرفة التي شوهت صورة الإسلام والمسلمين في الشرق والغرب.

ثالثًا: تجلية جوانب السلم والرحمة في حياة الرسول ﷺ

فمن المستقر عند المسلمين على مر التاريخ أن المقصد الأسمى الذي أرسل الله عز وجل سيدنا محمدًا ﷺ من أجله هو "الرحمة" وضرورة تطبيقها واقعًا ملموسًا في المجتمعات الإنسانية، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2]. وما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[3].

لذا كان من الضروري أن تقوم الدراسات الدينية والمجتمعية المتعلقة بالسيرة النبوية بتجلية جوانب الرحمة التي اتصف بها النبي ﷺ وكانت واقعًا معاشًا بين المسلمين وغيرهم؛ حتى يكون لهذه الدراسات أثر واضح وجلي في استقرار

---

١) العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، (صـ ٩٥ وما بعدها باختصار)، دار الفكر العربي – القاهرة – (١٤١٥هـ = ١٩٩٥).

٢) (الأنبياء: ١٠٧).

٣) المستدرك على الصحيحين، الإمام الحاكم النيسابوري، ك الإيمان، (١/ ٩١)، رقم (١٠٠). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ – ١٩٩٠م). وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا فَقَدِ احْتَجَّا جَمِيعًا بِمَالِكِ بْنِ سُعَيْرٍ، وَالتَّفَرُّدُ مِنَ الثِّقَاتِ مَقْبُولٌ». ووافقه الذهبي.

المجتمعات ونشر قيم الرحمة والمودة بين أفراد المجتمع برغم اختلاف أديانهم وأعراقهم.

ومما ورد في رحمته ﷺ – على سبيل المثال لا الحصر – رحمته ﷺ بالنفس الإنسانية بعد موتها مهما كانت ديانتها أو جنسيتها، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ بِنَا جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا بِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الجِنَازَةَ، فَقُومُوا»(١).

ورحمته بالضعفاء والمساكين، فعَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»(٢).

ورحمته بالنساء فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»(٣).

ورحمته بقومه عندما رفضوا دعوته، فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا

١) صحيح البخاري، ك الجنائز، ب من قام لجنازة يهودي، (٢/ ٨٥)، رقم (١٣١١)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

٢) صحيح البخاري، ك الإيمان، ب المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ، (١/ ١٥)، رقم (٣٠).

٣) صحيح مسلم، ك الرضاع، ب الوصاية بالنساء، (٢/ ١٠٩١)، رقم (١٤٦٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.

أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1].

ورحمته ﷺ بـ بنت حاتم الطائي عندما قُدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبَايَا مِنْ طيِّئ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ، قَالَ: فَجُعِلَتْ بِنْتُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ الْمَسْجِدِ، كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَنْ وَافِدُكَ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: الْفَارُّ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ مَرَّ بِي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَئِسْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قَوْمِي فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: قَدْ فَعَلْتُ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً، حَتَّى يُبَلِّغُكِ إِلَى بِلَادِكِ، ثُمَّ آذِنِينِي. فَسَأَلْتُ عَنْ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيَّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ.

قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ[2].

---

١) صحيح البخاري، ك بدء الخلق، ب إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، (٤/ ١١٥)، رقم (٣٢٣١).

٢) السيرة النبوية، ابن هشام، (٢/ ٥٧٩).

وفي ضوء ما ذكرنا تجدر الإشارة إلى أن ما تقوم به الجماعات المنحرفة من جرائم منافية للدين والأخلاق والإنسانية وقيم الرحمة، قد أساءت إلى الإسلام كثيرًا وشوهت صورته السمحة النقية، وقدمت لأعداء الإسلام والمسلمين صورة كريهة عن هذا الدين الحنيف: دين الرحمة والمحبة والتعارف بين الناس، وكم شوهت هذه المجازفات اللاأخلاقية من صورة نبينا الكريم ﷺ في أعين أعدائه وشانئيه، وأمدتهم بأخيلة مريضة، صورته في صورة تخطت حدود الأدب والذوق وارتكست في بربرية ووحشية لا حدود لها"[١].

رابعًا: تجلية المقاصد الإنسانية للدعوة الإسلامية

فقد حرص النبي ﷺ من خلال التطبيق الفعلي في سيرته النبوية على تجلية المقاصد الإنسانية للدعوة المباركة التي جاء بها من عند الله عز وجل، وهذه المقاصد جعلت من مجتمع المدينة المنورة مجتمعًا راشدًا ندر أن يأتي الزمان بمثله حتى الآن، ومن أهم المقاصد الإنسانية للدعوة الإسلامية التي يجب أن نستنبطها من السيرة النبوية ونجليها للناس جميعًا ما يلي:

١) المساواة بين الناس جميعًا

فإن الدعوة الإسلامية قد جاءت بمقصد المساواة بين الناس جميعًا، وقد أكد ذلك الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

وطبق النبي ﷺ مقصد "المساواة" واقعًا في سيرته النبوية، فعَنْ سَعْدٍ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ

١) القول الطيب، من كلمات وحاضرات الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر، (١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣، ٣٣٤)، دار الحكماء للشنر – أبوظبي – الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م).

٢) (الحجرات: ١٣).

فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ "[1].

لذا يجدر بنا أن نجلي هذا المقصد ونبين ما ورد فيه من تطبيق عملي في السيرة النبوية؛ حتى نبين سبق الإسلام لجميع المواثيق والمعاهدات الدولية في تعزيز قيم المساواة بين البشر، ونرد على كل ما يثار حول الإسلام في هذا الجانب.

٢) حفظ النفس الإنسانية

فقد أمر الإسلام بحفظ النفس الإنسانية، وجعل من اعتدى على نفس واحدة وأزهق روحها، فكأنما اعتدى على الناس جميعًا، قال تعالى: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾**[2].

وقد نهى الله عز وجل – أيضًا – عن قتل أي نفس بغير حق، قال تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[3].

ومقصد حفظ النفس الإنسانية قد حثت عليه نصوص السيرة النبوية ووقائعها، فقد ورد أن النبي ﷺ كان أحرص الناس على حفظ هذه النفس، حتى ولو لم تكن مؤمنة بما جاء به من عند الله عز وجل، ومما يؤكد ذلك ما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»[4].

وقد ورد عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ

---

١) صحيح مسلم، ك الفضائل، ب فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (٤/ ١٨٧٨)، رقم (٢٤١٣).

٢) (المائدة: ٣٢).

٣) (الأنعام: ١٥١).

٤) صحيح البخاري، ك الديات، ب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: ٩٣]، (٩/ ٢). رقم [٦٨٦٢].

اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[١].

٣) تحقيق العدل بين الناس

يؤكد الواقع التاريخي أنه لا تستقيم حياة الناس بدون العدل، وتحقيق العدل منوط بولاة الأمر ومن ولاهم الله عز وجل ولاية على الناس سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وقد جاء الإسلام على نحو ما استقرت عليه الفطرة الإنسانية من ضرورة تحقيق العدل بين الناس؛ حتى تستقيم الحياة ويعيش الإنسان في أمن وأمان، فقد أمر الله عز وجل بتحقيق العدل بين الناس جميعًا دون النظر إلى معتقداتهم أو أعراقهم، فقال تعالى:ـــ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**[٢].

وقد ورد في السيرة النبوية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَدَّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ – قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : يُقَالُ، سَوَّادٌ، مُثَقَّلَةٌ، وَسَوَادٌ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ هَذَا، مُخَفَّفٌ – وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنْ الصَّفِّ– قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مُسْتَنْصِلٌ مِنْ الصَّفِّ– فَطُعِنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ، وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سَوَّادُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، قَالَ: فَأَقِدْنِي. فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: اسْتَقِدْ، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ:

١) صحيح البخاري، ك الحج، ب الخطبة أيام منى، (٢/ ١٧٦)، رقم (١٧٤١).
٢) (النساء: ٥٨).

فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَّادُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وَقَالَهُ لَهُ[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[2].

ويظهر من هذه النصوص تحقيق النبي ﷺ لمقصد العدل دون محاباة أو ظلم أو مجاملة، وهذا ما يجب علينا أن نبينه للناس أثناء دراسة السيرة النبوية ووقائعها؛ حتى نسهم بشكل مباشر في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي يثيرها المستشرقون أو المتطرفون حول الإسلام.

٤) تحقيق الكرامة الإنسانية

لقد حرص النبي ﷺ من خلال سيرته المباركة على تحقيق كرامة الإنسان وتشريفها وتعزيز قدرها، فقد "أعاد سيدنا محمد ﷺ إلى الإنسانية كرامتها وشرفها ورد إليها اعتبارها وقيمتها، وأعلن أن الإنسان أعز وجود في هذا الكون وأغلى جوهر في هذا العالم، وليس هنا شيء أشرف وأكرم وأجدر بالحب وأحق بالحفاظ عليه من هذا الإنسان.

وليس أدل على كرامته والاعتراف بعظمته من قوله: "الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ"[3].

---

١) سيرة ابن هشام، (١/ ٦٢٦).

٢) صحيح البخاري، ك أحاديث الأنبياء، ب حديث الغار، (٤/ ١٧٥)، رقم (٣٤٧٥).

٣) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، (٩/ ٥٢٣)، رقم (٧٠٤٨)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

وليس هنا أبلغ في الدلالة على سمو الإنسانية والتقرب إلى الله بخدمتها، والعطف عليها من الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ، قال: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي"(١).

هل يتصور إعلان أوضح وأفصح بسمو إنسانيته وعلو مكانة الإنسان من هذا الإعلان، وهل فاز الإنسان بهذه المكانة السامقة والشرف العالي في أي ديانة وفلسفة في العالم القديم والحديث؟

إنه ﷺ جعل الرحمة على بني آدم الشرط اللازم لجلب رحمة الله، فقال عليه السلام: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"(٢).

ترى ما كان عليه وضع العالم وحالته الاجتماعية والسياسية، قبل أن ينهض النبي ﷺ بهذه الدعوة، دعوة الوحدة الإنسانية، والكرامة الإنسانية، ويجاهد في سبيلها أبلغ جهاد؟"(٣).

وتحقيق الكرامة الإنسانية مقصد من مقاصد الدعوة الإسلامية التي يجب على الدعاة إلى الله تعالى تجليته وبيانه للناس جميعًا، وضرورة الاستناد عليه في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الواقع المعاصر.

---

١) صحيح مسلم، ك البر والصلة، ب فضل عيادة المريض، (٤/ ١٩٩٩٠)، رقم (٢٥٦٩).

٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، ب ما جاء في رحمة المسلمين، (٤/ ٣٢٣)، رقم (١٩٢٤).

٣) مقالات في السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، (صـ ٩٨ ، ٩٩ باختصار)، دار ابن كثير – دمشق ، بيروت – الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

خامسًا: التقعيد لمبدأ الموازنات بين المصالح والمفاسد في السياسة الشرعية

تعد السيرة النبوية من أهم المصادر التي اعتمد عليها الفكر الإسلامي في التقعيد والتنظير للسياسة الشرعية ومسائلها المتعددة، ولا شك أن قضايا السياسة متغيرة ومتجددة، ومن ثم يجب النظر بشكل دائم ومتجدد للسيرة النبوية وأحداثها من أجل استنباط وتجلية القواعد والمبادئ التي تتوافق والقيم الإنسانية وخاصة قيم السلم والرحمة، ومما ورد في ذلك أن عُمَر بْن الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ

أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ – وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ"(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، وَلَجَعَلْتُهَا عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَتِ الْبَيْتَ اسْتَقْصَرَتْ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا خَلْفًا»(٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ " فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٣).

وكل هذه النصوص تؤكد أهمية السيرة النبوية في التقعيد لمبدأ الموازنات بين المصالح والمفاسد في باب السياسة، ومن ثم يجب على الدارسين للسيرة وأحداثها

١) صحيح مسلم، ك الجهاد والسير، ب الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، (٣/ ١٣٨٣)، رقم [١٧٦٣].

٢) صحيح مسلم، ك الحج، ب نقض الكعبة وبنائها، (٢/ ٩٦٨)، رقم (١٣٣٣).

٣) صحيح البخاري، ك المناقب، ب ما ينهى عن دعوى الجاهلية، (٤/ ١٨٣)، رقم (٣٥٣٠).

تجلية هذا المبدأ والعناية به بالشرح والتحليل والمقاربة؛ حتى نستطيع رسم سياسة راشدة تتوافق والأصول الدينية ومقتضيات الواقع المعاصر.

سادسًا: التأكيد على الأخوة الإنسانية ومقتضياتها

تأتي المنهجية الصحيحة في التعامل مع السيرة النبوية التي نتحدث عنها في هذه الدراسة لتصحح كثيرًا من المفاهيم المغلوطة التي حرصت الجماعات المتطرفة على ترسيخها في ميادين الفكر والثقافة، وذلك من خلال خطابها المنسوب للدين بعيدًا عن المنهج الوسطي المعتدل.

فقد حرصت هذه الجماعات على ترسيخ فكرة استعداء الآخر وضرورة الصراع معه طالما أنه لم يدخل في الإسلام، من باب الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين، وأن مجرد عدم الإيمان بأركان الإسلام مسوغ صحيح للاعتداء عليه واضطهاده واستباحة دمه.

والحق أن الإسلام لم يأمر باستعداء الآخر والصراع معه بذريعة أنه لم يدخل في الإسلام، وإنما حث على البر به والتعايش معه وتفعيل قيم الرحمة ومقتضياتها في التعامل معه؛ انطلاقًا من باب الأخوة الإنسانية الجامعة لكل البشر، حيث "إن الأخوة من أصل مصدر "أخا الرجل"، وتطلق أيضًا على قرابة الأخ من أخيه، وهي تطلق باعتبارات مختلفة تدل على المعنى الجامع بين الأخوين أو الأخوة، وقد تطلق باعتبار ديني أو مذهبي، وقد تطلق باعتبار وطني أو النسبي وذلك هو الأصل فيها وقد يكون النسب قريبًا فتضيق دائرتها وقد يكون بعيدًا فتتسع الدائرة، فكلما بعد المعنى الجامع اتسعت دائرة الأخوة، فلذا كانت الأخوة الإنسانية أوسع هذه الدوائر وأشملها لأنها منسوبة إلى الإنسان، وهو الاسم الجامع للبشرية كلها كما هو اسم لأبي البشرية: وهو آدم عليه السلام"[1].

١) من كلمة المستشار محمد المختار ولد امباله، رئيس المجلس الأعلى للفتوى والمظالم ومستشار برئاسة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، أعمال المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية، أبوظبي ٣ – ٤ فبراير ٢٠١٩م، صـ ٣٦٠ .

ومما يؤكد الأخوة الإنسانية وقبولها في الإسلام قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾(١).

"فالناس كلهم مشتركون في أصل النسب ومشتركون في التكريم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٢)، ومشتركون في الصورة الحسنة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٣)، ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾(٤)، ومشتركون في احترام الأنفس: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾(٦).

فالنفس تأتي مطلقة ليست مقيدة بكونها نفسًا مؤمنة وغير مؤمنة، ومتساوية في خطاب التكليف والجزاء على الأعمال على اختلاف دياناتهم ولغاتهم وثقافاتهم تساوي يجعلهم أخوة في هذا الجانب، فالاختلاف في الدين لا ينفي الأخوة الإنسانية والنسبية ولا ينافيها"(٧).

ومفهوم الأخوة الإنسانية ومقتضياتها طبقه النبي ﷺ من خلال سيرته النبوية المباركة ، ومما يؤكد ذلك خطابه للناس جميعًا في حجة الوداع، وذلك بقوله: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا"(٨).

---

١) (النساء: ١).
٢) (الإسراء: ٧٠) .
٣) (التين: ٤) .
٤) (غافر: ٦٤) .
٥) (الأنعام: ١٥١) .
٦) (المائدة: ٣٢).
٧) من كلمة المستشار محمد المختار ولد امباله، رئيس المجلس الأعلى للفتوى والمظالم ومستشار برئاسة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، أعمال المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية، أبوظبي (٣ – ٤ فبراير ٢٠١٩م)، (صـ ٣٦٠ ، ٣٦١).
٨) سيرة ابن هشام، (٢/ ٦٠٣).

"وأول ما يطالع المتأمل في هذه الخطبة التاريخية هو أنها لم تكن موجهة للمسلمين فقط، بل كانت موجهة للناس كلهم، أينما أقلهم المكان، وحيثما أظلهم الزمان، وكانت عبارته المفضلة في لفت العقول والأنظار إليه هي "أيها الناس" وليس "أيها المسلمون" ولا "أيها المؤمنون"[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَأَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[٢].

"وهذا الإعلان يتضمن إعلانين، هما الدعمتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام، وعليهما قام السلام في كل زمان ومكان، وهما وحدة الربوبية والوحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين، والإنسان أخو الإنسان من مرتين، مرة "وهي الأساس" لأن الرب واحد، ومرة ثانية لأن الأب واحد.

إنها كلمات خالدة جرت على لسان النبي ﷺ في حجة الوداع وحينما قام النبي ﷺ بهذا الإعلان التاريخي العظيم، لم يكن العالم في وضع طبيعي هادئ يسيغ فيه هذه الكلمات الجريئة الصريحة، ويطيقها"[٣].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ: "اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ مَرَّتَيْنِ: رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ، اللهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللهُ الْأَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، اللهُ الْأَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللهُ الْأَكْبَرُ الْأَكْبَرُ"[٤].

---

١) القول الطيب، (١/ ٣٦٦).

٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، (٥/ ٨٦)، رقم (٤٧٤٩)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة

٣) مقالات في السيرة النبوية، (صـ ٩٥ ، ٩٦ باختصار).

٤) مسند أحمد، (٣٢/ ٤٨)، رقم (١٩٢٩٣)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).

"وإذًا فهذه شهادات ثلاث: شهادة بالألوهية، وبالنبوة، وبالأخوة الإنسانية، وهي ذاتها شهادة على أن الإسلام إذا كان هو دين التوحيد الخالص فهو بالقدر نفسه دين الإنسانية كلها وديـن المساواة بين الناس، ثم هو دين عصمة الدماء والأموال والأعراض، ودين مقاصد أخرى خلقية، أوجزها نبي هذا الدين في خطبة الوداع التي خاطب فيها الإنسانية كلها من وراء حشد المسلمين بلغ مئة ألف وأكثر"(١).

وتجدر الإشارة إلى أن "الأخوة الدينية أخص من الأخوة الإنسانية وأضيق دائرة وأكثر حقوقًا وواجبات، لكنها لا تقتضي إبطال الأخوة الإنسانية في دائرتها الواسعة العامة التي تتسع للجميع، وليس معنى الأخوة الإنسانية أن تكون أمة واحدة فتذوب الفوارق وتزول المميزات ونتفق في المبادئ والمعتقدات والمقاصد، بل ذلك مخالف للسن الكونية والحكمة الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(٢)، فذلك تنوع يكون مصدر ثراء للبشرية ولا يكون مصدر صدام لها، ولا ينفي معنى الأخوة الإنسانية.

ولكن معنى الأخوة الإنسانية أن نتعايش في سلام وأن نلتزم بقواعد العدل والإحسان، وأن نتعاون في المشترك كالسلم والعدل والحرية والتنمية ونتسامح في المختلف فيه، فلا يبغي بعضنا على بعض ولا يتطاول عليه ولا يستقوي عليه بما أوتي من قوة مادية"(٣).

وفي ضوء ما سبق يظهر لنا بكل وضوح أهمية المنهجية الصحيحة للتعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قيم السلم والرحمة، وسوف نتعرف على آليات هذه المنهجية في المبحث الآتي.

---

١) القول الطيب، (١/ ٣٦٥).

٢) (هود: ١١٨ – ١١٩).

٣) من كلمة المستشار محمد المختار ولد امباله، رئيس المجلس الأعلى للفتوى والمظالم ومستشار برئاسة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، أعمال المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية، أبوظبي (٣ – ٤ فبراير ٢٠١٩م)، (صـ ٣٦٢).

المبحث الثالث: آليات التعاطي مع السيرة النبوية في ضوء قِيم السِّلْمِ والرحمة

تعددت المدارس التاريخية الإسلامية في التعاطي مع السيرة النبوية وأحداثها؛ ونُسجت حول السيرة النبوية كثير من الوقائع والأحداث الضعيفة والموضوعة أسهمت بشكل كبير في تشويها، وإثارة الشبهات حول النبي ﷺ، ومن ثم كان من الضروري تحديد آليات جديدة وجادة للتعاطي مع السيرة النبوية والإفادة منها في تعزيز قيم السلم والرحمة بين جميع البشر في الواقع المعاصر، وهي على النحو الآتي:

أولًا: ضرورة إعداد محتوى جديد للسيرة النبوية يتوافق وقِيَم السِّلم والرحمة

تتسابق كثير من الدول والمجتمعات الآن في تبني قيم السلم والتسامح، وتصدر البيانات والوثائق؛ لذا فإننا نحتاج في العصر الحاضر ونحن نسعى إلى تحقيق السلم والأمن المجتمعي في ربوع العالم إلى تجلية النصوص الدينية والنبوية الداعية إلى ضرورة تعزيز قيم السلم والرحمة وترسيخ حرية العقيدة والعبادة، وفي مقدمتها نصوص السيرة النبوية، والتي بات من الضروري إعداد المحتويات العلمية والدراسية المؤصلة لهذا الأمر.

ومن هذه النصوص على سبيل المثال: وفد نصارى نجران الذي قدم على النبي ﷺ، إذ "يَقُولُ بَعْضُ مَنْ رَآهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – ﷺ – يَوْمئِذٍ: مَا رَأَيْنَا وَفْدًا مِثْلَهُمْ، وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ، فَقَامُوا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – يُصَلُّونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: دَعُوهُمْ، فَصَلَّوْا إِلَى الْمَشْرِقِ"(١).

وقد بلغ من رحمته ﷺ أنه لم يدع بالعذاب والهلاك على قومه الذي كذبوه وكفروا بما أنزل معه، وإنما دعا الله عز وجل لهم من أجل هدايتهم رحمة وشفقة ورأفة منه، ومما جاء في ذلك ما ورد في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه عندما قال: "ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَئُوا عَلَيَّ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي على دوس الزّنا ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهمّ اهْدِ دَوْسًا، ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

١) السيرة النبوية لابن هشام، (١/ ٥٧٤).

بِخَيْبَرِ، حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرِ، فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ"(١).

وقد اعتمد النبي ﷺ منهج الرفق واللين والرحمة في الدعوة إلى الله تعالى، امتثالًا لقوله تعالى: **ﮋفَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**ﮊ(٢).

ومما يؤكد ذلك ما ورد في قصة **ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ الْحَنَفِيِّ** رضي الله عنه، **فعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَتْ خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَتْ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، لَا يَشْعُرُونَ مَنْ هُوَ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ، هَذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيُّ، أَحْسِنُوا إِسَارَهُ. وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ، فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ بِلِقْحَتِهِ أَنْ يُغْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحُ فَجَعَلَ لَا يَقَعُ مِنْ ثُمَامَةَ مَوْقِعًا وَيَأْتِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ أَسْلِمْ يَا ثُمَامَةُ، فَيَقُولُ: إِيْهًا يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُرِدْ الْفِدَاءَ فَسَلْ مَا شِئْتُ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَلَمَّا أَطْلَقُوهُ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْبَقِيعَ، فَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ**(٣).

وقد كان من تأثير رحمة النبي ﷺ فيه أنه قال: " **لَقَدْ كَانَ وَجْهُكَ أَبْغَضَ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَلَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ**(٤).

والنصوص الداعية إلى السلم والرحمة في السيرة النبوية المباركة يصعب حصرها، ومن وجهة نظري فإن إعداد المحتويات العلمية والدراسية التي تجلي هذه النصوص وتحللها تبدأ بتشكيل نخبة متميزة من الأساتذة الأكفاء المتخصصين في السيرة النبوية وموضوعاتها وكذلك من المتخصصين في الفكر الإسلامي والثقافة

١) سيرة ابن هشام، (١/ ٣٨٥).
٢) (سورة ال عمران: ١٥٩).
٣) سيرة ابن هشام، (٢/ ٦٨٣).
٤) السابق، (٢/ ٦٨٤).

الإسلامية المعاصرة؛ لإعداد محتوى تعليمي مُحْكَمٍ ومُتْقَن للسيرة النبوية يقوم على ما يلي:

١- التأطير والتنظير للتواصل الحضاري والإنساني بين مختلف الشعوب والثقافات.

٢- التأصيل والتقعيد لمفاهيم قِيَمِ السلم والرحمة.

٣- إيضاح منهج النبي - ﷺ - العملي في تعزيز قيم السلم والرحمة.

٤- بيان أثر قيم السلم والرحمة في استقرار المجتمع وتحقيق أمنه وسلامته.

٥- التركيز على الجوانب الحضارية والعمرانية في السيرة النبوية.

٦- تجلية منطلقات الأخوة الإنسانية ومبادئها للدارسين في ضوء السيرة النبوية.

٧- إبراز القواسم المشتركة بين سيرة النبي - ﷺ - وسير الأنبياء السابقين الداعمة لقيم السلم والرحمة.

وغير ذلك من الأمور التي إذا استطعنا القيام بها - على هذا النحو - سنعيد تشكيل العقل المسلم بما يتوافق وقيم التسامح والتعايش والاندماج مع الآخر مهما كانت عقيدته أو مبادئه.

ثانيها: اعتماد صحيح الروايات دون غيرها من الدخيل والموضوع والضعيف

إذ يُعدُّ ما كتبه المسلمون حول السيرة النبوية وموضوعاتها[١] من قبيل "التراث الإسلامي"، وطبيعة "التراث" أنه غير معصوم[٢]، ويحتمل أن يدخل فيه الصحيح والضعيف والموضوع، وهذا ما حدث بالفعل في بعض روايات السيرة النبوية(٣)،

---

١) وفي مقدمة هذه الكتابات: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، وسيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: ٢١٣هـ)، والسيرة الحلبية، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ).

٢) يقول الشيخ الطيب النجار: "ومن المعروف - أيضًا - أن كتب السيرة - كغيرها من سائر الكتب الإسلامية - قد دُسَّت إليها في عصور التدوين الأولى بعض المفتريات، وكان أساسها هؤلاء الذين أسلموا ظاهرًا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم، أو دخلوا في الإسلام ولم تكتمل معرفتهم بكل مبادئه وآدابه.

ومن الحق علينا أن نصفيها مما علق بها من الشوائب والرواسب، أو نطرحها جانبًا إن كانت خبيثة الجوهر فاسدة العنصر، مهما كانت خادعة المظهر، ومهما لبست من ثياب براقة زاهية". القول المبين في سيرة سيد المرسلين، الطيب النجار، (صـ ٧ - ٨).

٣) وأشهر هذه الروايات تلك التي يتصل سندها بـ (محمد بن كعب القرظي، وكعب الأحبار).

ومن المعلوم أنَّ الرواياتِ الضعيفةَ والموضوعةَ تسهم في تشويه صورة الإسلام بشكل عام والسيرة النبوية بشكل خاص.

ومن ثَمَّ أصبحت الحاجةُ ماسَّةً إلى تنقية السيرة النبوية من الدخيل والضعيف والموضوع، واعتماد ما صحَّ من رواياتها فقط، دون النظر إلى غيرها من الروايات، وتضمين ذلك في المقررات الدراسية(١)، الأمر الذي سيسهم بشكل كبير في إيضاح قيم السلم والتعايش والتسامح؛ حيث إن الرواياتِ الضعيفةَ والموضوعةَ غالبًا ما يحرص أصحابُها على التهويل والافتراء واصطناع الصراعات التي لا أصل لها في الواقع، ويغلب عليها الجانب العاطفي دون اعتبار العقل والمنطق.

ويجب بداهة أن نشير إلى الحقيقة الكبرى التي أكدها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وذلك في قوله: "إن آفة المؤرخين للسيرة النبوية ولغيرها من أحداث الناس وأطوار الزمان قلة التثبت وضعف التمحيص.

وقد وقع كثير من الأقدمين والمحدثين في هذا الخطأ، على تفاوت بينهم في دقة المأخذ وحدة الانتباه"(٢).

ومنهج التحري وتمييز الصحيح من الضعيف واختبار الرواة والروايات منهج معتبر عند المحدثين والمحققين من العلماء قديمًا وحديثًا، ومما ورد في ذلك ما قاله أبو الوليد الطيالسي: كتبت عن عامر ابن أبي عامر الخزاز، فقال يومًا: حدثنا عطاء بن أبي رباح. فقلت له: في سنة كم سمعت من عطاء؟ قال: في سنة أربع وعشرين ومائة. قلت: فإن عطاء توفى سنة بضع عشرة. قلت: إن كان تعمد فهو كذاب، وإن كان شبه له بعطاء بن السائب فهو متروك لا يعي(٣).

---

١) وقد دعا إلى هذا المنهج كثير من علماء المسلمين في العصر الحديث ، وكان في طليعتهم: الشيخ محمد الخضري بك، في كتابه "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"، (صـ ١٢)، والدكتور/ محمد الطيب النجار، في كتابه "القول المبين في سيرة سيد المرسلين"، (٧ – ٨)، والشيخ محمد الصادق عرجون في كتباه "محمد رسول الله .. منهج ورسالة"، (صـ ٣٥٥ – ٣٥٦).

٢) فقه السيرة، (صـ ٩)، دار الكتب الحديثة – القاهرة – ط السابعة (١٩٦٥م).

٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، (٢/ ٣٦٠)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، (١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م).

وقال زكريا بن يحيى الحلواني: رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات على ظهور كتبه، فسألته عنه، فقال: رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها فطالبناه بالأصول فدافعناه،

ثم أخرجها بعد فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخط طرى، كانت مراسيل فأسندها وزاد فيها"[1].

ولنضرب لهذا المنهج مثلا، فقد ورد **عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ». قَالَ: " فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا**

١) السابق، (٤/ ٤٥١).

مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ"(١).

وهذا الخبر قد تلقاه العلماء والمحققون بالنقد والتحليل لبيان ضعفه وعدم صحته، وفي ذلك يقول ابن سيد الناس: "فِي مَتْنِهِ نَكَارَةٌ، وَهِيَ إِرْسَالُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِلالا، وَكَيْفَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَئِذٍ لَمْ يَبْلُغِ الْعَشْرَ سِنِينَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَنُّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِأَزْيَدَ مِنْ عَامَيْنِ، وَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعَةُ أَعْوَامٍ عَلَى مَا قَالَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ، أَوِ اثْنَا عَشَرَ عَلَى مَا قَالَهُ آخَرُونَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ بِلالا لَمْ يَنْتَقِلْ لأَبِي بَكْرٍ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَكْثَرَ مِنْ ثلاثين عاما، فإنه كان لبني حلف الجمحيين وعند ما عُذِّبَ فِي اللَّهِ عَلَى الإِسْلَامِ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَةً لَهُ وَاسْتِنْقَاذًا لَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَخَبَرُهُ بِذَلِكَ مَشْهُورٌ.

وَقَوْلُهُ: فبايعوه، إن كان المراد فبايعوا بحيرى عَلَى مُسَالَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرِيبٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا أَدْرِي ما هو"(٢).

ثالثها: ضرورة مراعاة متغيرات الواقع ومستجداته المقتضية ترسيخ ثقافة السلم والرحمة

فمن البدهيَّات المسلَّمة في الفكر والثقافة الإسلامية ضرورة اعتبار الواقع ومتغيراته أثناء تناول النصوص الدينية بالشرح والتحليل والتكييف، وقد كانت من أهم وأخطر الإشكاليات التي وقعت – عند بعض الباحثين – في العصر الحديث هي محاولة استدعاء كل ما ورد في السيرة النبوية المباركة ومحاولة تطبيقه في أرض الواقع دون مراعاةِ طبيعة الواقع وتغير الزمان والمكان؛ مما أدى إلى حدوث كثير من

١) سنن الترمذي، ك المناقب، ب ما جاء في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٦٢٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، (١/ ٥٥)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت – الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

الوقائع والأحداث المنحرفة عن صراط الإسلام المستقيم، والتي ساعدت بعد ذلك في إثارة كثير من الشبهات حول السيرة النبوية.

ولا شكَّ أن مراعاة الواقع ومتغيراته أثناء دراسة السيرة النبوية وتدريسها سينقلها من مجرد الحكي والقصص والسرد التاريخي إلى الفاعلية اللازمة التي يمكن استثمارها وتوظيفها في ترسيخ قيم التسامح والتعايش في المجتمع.

رابعها: حصر الشبهات المثارة حول قيم السِّلم والرحمة في السيرة النبوية والرد عليها

تعدُّ السيرةُ النبويةُ التطبيقَ العمليَّ للإسلام وشرائعه، ومن ثمَّ كانت من أكثر المصادر الإسلامية تعرضًا للتشويه والتشكيك وإثارة الشبهات التي كانت تهدف إلى تفريغ السيرة النبوية من قيم السلم والرحمة؛ ومردُّ ذلك إما إلى بعض التأويلات الخاطئة للحوادث والوقائع الواردة فيها، أو عدم موضوعية الباحث وانعدام إنصافه.

ومن هنا تدعو الحاجة إلى ضرورة إعداد محتوى علميٍّ وتعليميٍّ نردُّ من خلاله كل الشبهات والمطاعن حول قيم السلم والرحمة في السيرة النبوية، وإثبات زَيْفِ ما يدَّعيه بعضُ الدارسين حولها بالبراهين والحجج القوية الساطعة، والنماذج الفعلية في حياة النبي ﷺ وصحابته الكرام.

خامسها: ضرورة الربط بين مبادئ وثيقة الأخوة الإنسانية ووثيقة المدينة المباركة في المقررات الدراسية

إذ وثيقة الأخوة الإنسانية(١) تُعد امتدادًا طبعيًّا لوثيقة المدينة المنورة[٢]، التي وضعها رسولُ الله – ﷺ – أول دخوله المدينة، فقد راعى النبي – ﷺ – التنوُّع العَقَدي والثقافي والحضاري في مجتمع المدينة آنذاك، وأيقن كذلك قيمة استثمار هذا التنوع في تشييد الحضارة الإسلامية وبناء الأمة الوليدة، ولم يفكر في صدام

١) جاءت وثيقة الأخوة الإنسانية بع لقاءات متعددة بين الأزهر الشريف والفاتيكان برعاية ودعم دولة الإمارات العربية المتحدة، وتم توقيعها في (أبوظبي) بتاريخ الثالث والرابع من فبراير لعام (٢٠١٩م) بحضور نخبة كبيرة من المفكرين والمثقفين والزعماء.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، (١/ ٥٠١ وما بعدها).

أو صراع مع هذا التنوع، وإنما حرص على وضع وثيقة تضمن السلام والعيش المشترك وترسيخ ثقافة المواطنة الشاملة بين كل الفئات والطوائف والديانات الموجودة في المجتمع.

ومن خلال الدراسة المقارنة بين وثيقة الأخوة الإنسانية ووثيقة المدينة المباركة سنبرز للطلاب والدارسين المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة بينهما، والتي منها: المساواة، وحرية العقيدة والعبادة، والحوار والتفاهم بديلًا للتَّصارع والتصادم، والعدل، والتعاون والتكافل الإنساني، واعتبار الكرامة الإنسانية، والرحمة بالناس جميعًا، وغيرها.

سادسها: تدريب الدارسين على مهارات استخراج قيم السِّلم والرحمة من السيرة النبوية

إذ من الأمور المهمة التي يجب أن ننتبه إليها في وضع مقررات السيرة النبوية وتدريسها ضرورة تنمية مهارات الدارسين للسيرة النبوية وعلومها، وأهمية تدريبهم على المنهجية الصحيحة في إبراز قيم السِّلم والرحمة من خلال أحداثها ووقائعها.

ولا شكَّ أن هذه الخطوةَ ستُسهم بشكل كبير في تعزيز وترسيخ قِيَمِ السِّلم والتسامح لدى الدارسين وأهليهم وبيئاتهم.

سابعها: ضرورة تدريس السيرة النبوية في ضوء النصوص القرآنية الداعية إلى قيم السِّلم والرحمة

إن العلاقة بين نصوص السيرة النبوية ونصوص القرآن الكريم قوية ووثيقة سيما الداعية منهما إلى السلم والتسامح والتعايش، وينبغي مراعاة تبيين هذه العلاقة للدارسين، والربط بين نصوص القرآن الكريم المحكمة ونصوص السيرة النبوية لكي تكون تلك النصوصُ مرجعًا وثيقًا وشاهدَ صدقِ هذه الروايات، فعلى سبيل المثال: في

قضية السلام والمصالحة نربط أحداث السيرة النبوية بقوله – تعالى –: ﴿وَإِن جَنَحوا لِلسَّلمِ فَاجنَح لَها وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾(١).

وفي قضية حرية العقيدة والعبادة نربط أحداث السيرة بقول الله – تعالى –: ﴿لا إِكراهَ فِي الدّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾(٢) ، وقوله سبحانه: ﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرضِ كُلُّهُم جَميعًا أَفَأَنتَ تُكرِهُ النّاسَ حَتّىٰ يَكونوا مُؤمِنينَ﴾(٣).

وفي طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم نربط أحداث السيرة بقوله – تعالى –: ﴿وَلا تُجادِلوا أَهلَ الكِتابِ إِلّا بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِلَّا الَّذينَ ظَلَموا مِنهُم وَقولوا آمَنّا بِالَّذي أُنزِلَ إِلَينا وَأُنزِلَ إِلَيكُم وَإِلٰهُنا وَإِلٰهُكُم واحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسلِمونَ﴾(٤)، وقوله – تعالى –: ﴿لا يَنهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَم يُقاتِلوكُم فِي الدّينِ وَلَم يُخرِجوكُم مِن دِيارِكُم أَن تَبَرّوهُم وَتُقسِطوا إِلَيهِم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطينَ﴾(٥).

وفي قضية حفظ النفس البشرية نربط أحداث السيرة بقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثىٰ وَجَعَلناكُم شُعوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقاكُم إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾(٦)؛ حيث إنه قال: لتعارفوا ولم يقل لتتصارعوا. وقوله – تعالى –: ﴿وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلّا بِالحَقِّ ذٰلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلونَ﴾(٧).

والهدف المباشر من ربط أحداث السيرة النبوية بنصوص القرآن الكريم الداعية إلى السلم والرحمة، أن تكون هذه النصوص ميزانًا دقيقًا في قبول روايات السيرة ورَدّها، أو تأويل ما صحَّ منها وفق مقتضيات هذه النصوص القرآنية المحكمة.

(١) (الأنفال: ٦١).
(٢) (البقرة: ٢٥٦).
(٣) (يونس: ٩٩).
(٤) (العنكبوت: ٤٦).
(٥) (الممتحنة: ٨).
(٦) (الحجرات: ١٣).
(٧) (الأنعام: ١٥١).

ثامنها: تدريس المواقف العملية للنبي – ﷺ – في التسامح والعيش المشترك بشكل موضوعي ضمن المقررات الدراسية

تعددت الصور والنماذج العملية في السيرة النبوية لتحقيق العيش المشترك بين جميع أفراد المجتمع إذ إن أوَّل ما فَعل النبي – ﷺ – إثْرَ هِجْرتِه إلى المَدينة المُنَوَّرة: أنْ بَنى المَسجِد[١]؛ توثيقًا لعَلاقة المُسْلِمِ بِرَبِّهِ، وآخَى بينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار[٢]؛ تَوْثيقًا لعَلاقة المسلِمِ بأَخِيه المسلِمِ، وعقَد اتفاقيةً بينه وبينَ اليهود؛ لِيَضْمَنَ كِلا الطرفَين المحافظة على حُقوق الآخَر، والمُتَتَبِّعُ للسِّيرة النَّبويةِ، يُدْرِكُ حِرصَه – ﷺ – على تحقيقِ السَّلامِ والتَّحَلِّي بالتَّسامُحِ، مع المُخالِفِينَ في العَقيدة.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "أما الأمر الثالث، هو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطئ بل متحامل جريء.

عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة وجد بها يهودًا توطنوا ومشركين مستقرين.

فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل – عن طيب خاطر – وجود اليهود والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهدوا معاهدة الند للند، على أن لهم يدنهم وله دينه.

وهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها، والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أيا كان دينهم، وقد نصت – بوضوح – على أن حرية الدين مكفولة.

فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق

١) ابن هشام ، السيرة النبوية، (١/ ٤٩٦).
٢) السابق، (١/ ٥٠٤).

الخاصة والامة، واستنزل تأييد الله على أبر ما فيها وأنقاه، كما استنزل غضبه على من يخون ويغش"[1].

حتَّى مع المُعْتَرِضِ على قِسْمَةِ النَّبيّ للغنائم، معبّرًا عن اعْتِراضِهِ بأُسْلوبٍ فيه غِلظةٌ وجَفاءٌ، لا يليقُ بمَقامِ النبيّ – ﷺ –، ممَّا أثارَ حَفِيظَةَ الصَّحابةِ، فسَأل أحدُهم رسولَ الله أنْ يَأذَنَ له في قَتْلِ هَذا المُعْتَرِضِ، فلَمْ يَرْضَ رسولُ الله[2]، إلى غيرِ ذلكَ مِن وقائعَ مدوَّنةٍ في كُتُبِ السِّيرةِ النَّبويةِ والتي يجب تجليتها وإبرازها في المقررات والمناهج الدراسية.

وبذلك نسهم في تحقق جانب القدوة الحسنة لدى الطلاب والدارسين في شخصية النبي – ﷺ – وتسامحه مع الآخر ورحمته به.

---

١) فقه السيرة، (ص، ١٩٦ ، ١٩٧ باختصار).

٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: " دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة: ٥٨]. البخاري، الصحيح، (٩/ ١٧)، رقم (٦٩٣٣).

المبحث الرابع: كيف يمكن تقديم رؤية جديدة في التعاطي مع السيرة النبوية؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: يقتضي الواقع المعاصر تقديم الرؤى والأُطروحات الجديدة التي يمكن من خلالها تفعيل روايات السيرة النبوية وأحداثها في دعم قِيَم السلم والتسامح، ويمكن ذلك من خلال ما يأتي:

أولًا: ضرورة تجديد الدرس الخاص بالسيرة النبوية

فعندما ننظر في كثير من الكتب والمصنفات التي تتناول قضايا السيرة النبوية وأحداثها نجد أنها قد تشابهت وتقاربت مع بعضها البعض، حتى يظن الدارس أو يتيقن أنها قد جرَتْ في إطار من التقليد والتكرار الذي لم يأت بجديد يذكر برغم كثرتها والحاجة الماسة إلى تكييفها مع الواقع المتغير والمتجدد.

وقد سارت على هذا النحو كثير من المناهج الدراسية في بعض الجامعات العربية والإسلامية؛ لذا يتطلب الأمرُ تجديدَ الدرس الخاص بالسيرة النبوية[١]؛ مما يسهم في إثبات توافقية السيرة النبوية مع المستجدات والأحداث في الواقع والمستقبل؛ حيث إنه من غير المعقول أن يتم تدريس السيرة النبوية في الإطار القصصي المتضمن – في بعض الأحيان – لكثير من الخوارق والإسرائيليات بعيدًا عن مستجدات الواقع ومتغيراته.

وقد كان لهذا الأسلوب التقليدي في عرض السيرة النبوية أثره السلبي في حياة المسلمين اليوم.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "إن المسلمين الآن يعرفون عن السيرة قشورًا خفيفة، لا تحرك القلوب ولا تستثير الهمم، وهم يعظمون النبي وصحابته عن تقليد موروث ومعرفة قليلة، ويكتفون من هذا التعظيم بإجلال اللسان، أو بما قلت مؤنته من عمل.

ومعرفة السيرة النبوية على هذا النحو التافه تساوي الجهل بها، إنه من الظلم للحقيقة الكبيرة أن تتحول إلى أسطورة خارقة، ومن الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة أ

١) وفق ما ذكرته في ضرورة إعداد محتوى تعليمي وتدريس جديد للسيرة النبوية.

ن تعرض في أكفان الموتى، إن حياة محمد ليست – بالنسبة للمسلم – مسلاة شخص فارغ أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا ، إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها، فأي حيف في عرض هذه السيرة، وأي خلط في سرد أحداثها إساءة بالغة إلى حقيقة الإيمان نفسه"[١].

وقد انتبه لأهمية تجديد الدرس الخاص بالسيرة النبوية الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، حيث جمع بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة في كتابة السيرة النبوية وعرضها على المسلمين بهدف تقوية ركائز الإيمان في نفوسهم، وفي ذلك يقول: "إن المؤرخين المحدثين يميلون إلى التحليل والموازنة وربط الحوادث المختلفة في سياق متماسك، وذاك أحسن ما في طريقتهم .

والمؤرخون القدامى يعتمدون على حشد الآثار، وتمحيص الأسانيد، وتسجيل ما دق وجل من الوقائع والشئون، وفي هذه المحفوظات الكثيرة من نفائس ذات خطر لو أحسن الاستشهاد بها وإيرادها في موضعها.

ولعلي هنا مزجت بين الطريقتين على نحو جديد، يجمع بين ما في كلتيهما من خير، فجعلت من تفاصيل السيرة موضوعًا متماسكًا يشد أجزاؤه روح واحد، ثم وزعت النصوص والروايات الأخرى بحيث تتسق مع وحدة الموضوع وتعين على إتقان صورته وإكمال حقيقته.

وقصدت من وراء ذلك أن تكون السيرة شيئًا يُنمّي الإيمان ويزكي الخلق ويلهب الكفاح، ويغري باعتناق الحق والوفاء له، ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله" [٢].

ومما دعانا إلى ضرورة تجديد الدرس الخاص بالسيرة النبوية أن أغلب مصادرها واحد من شيئين:

١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، (صـ ٤).
٢) السابق، (صـ ٤ ، ٥).

١) "إما المبالغات الزائدة وتصوير السيرة بالصورة الأسطورية إن كان المؤلف مؤمنًا محبًا لمحمد ﷺ حتى بدت السيرة النبوية من خلال هذه المؤلفات بعيدة عن الواقع جدًا، ويتجلى هذا في الأعصر المتأخرة.

٢) وإما تحليلها تحليلات جافة وإظهار بعض المواقف في السيرة النبوية بغير حقيقتها إن كان المؤلف غير مسلم أو كان مسلمًا، ولكنه أدخل السيرة لخدمة نزعته السياسية التي لا تتفق والإسلام، كما فعل المستشرقون عندما تكلموا عن حياة النبي ﷺ العائلية وزوجاته، وأمثال ذلك، وكما فعل بعض المسلمين عندما جعل النبي ﷺ اشتراكيًا، وبعضهم رأسماليًا، وبعضهم بانيًا للمجد القومي العربي ... إلخ.

لذلك فإن عملية تحديد المصادر الأصلية للسيرة النبوية أهم عمل أمام الدارس للسيرة النبوية خصوصًا وللإسلام عمومًا، وتقويم هذه المصادر يعطيه العدة الكافية لتناول السيرة المحمدية نقية من الشوائب، ويطلع على حقيقتها وأبعادها، ثم يستطيع أن يرد على الذين يزيفون الحقائق، ويشوهون تاريخ النبي ﷺ مهما كانت صيغتهم ولغتهم"[١].

ثانيًا: ضرورة إنشاء المجامع والمراكز العلمية والبحثية للسيرة النبوية وعلومها

فهناك كثير من العلوم الإسلامية قد دعت الحاجة إلى تأسيس المجامع البحثية والعلمية التي تنظر في مسائلها وقضاياها، بهدف نشر الثقافة الإسلامية الوسطية والمعتدلة التي تحقق مصالح العباد الدنيوية والأخروية.

ولا شكَّ أن الفقه الإسلامي قد نال الحظ الأوفر من هذه المجامع لما يمثله من أهمية كبرى في حياة المسلمين، ومن ثم بات من الضروري تأسيس المجامع العلمية والبحثية لباقي العلوم الإسلامية وفي مقدمتها السيرة النبوية.

وترتكز هذه الفكرة على أهمية الدراسة الجماعية من قبل المفكرين والمؤرخين والمعنيين بالسيرة النبوية والثقافة الإسلامية التي تناقش قضايا السيرة ووقائعها من

١) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د/ فاروق حمادة، (صـ ٣٢ ، ٣٣)، دار القلم – دمشق – بدون.

زوايا وأطر متعددة لتنتهي في النهاية إلى وضع التصورات السديدة لروايات السيرة وأحداثها التي تتوافق ومقاصد الشريعة الإسلامية، وتدعم قيم السلم والرحمة في الواقع المعاصر.

ثالثًا: تعزيز المنهج التكاملي الشامل لكل العلوم الإسلامية في التعاطي مع السيرة النبوية

فمن ضمن الإشكاليات التي وقع فيها كثيرٌ من الباحثين والدارسين للسيرة النبوية تجاهل "المنهج التكاملي الشامل" في التعاطي مع السيرة النبوية وتحليلها؛ مما أدى إلى قصور هذه الدراسات وانفصالها عن باقي المصادر والعلوم الإسلامية الأخرى.

وأقصد بالمنهج التكاملي هنا: المنهج الذي يقوم بدراسة السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقواعد الجرح والتعديل وباقي العلوم الإسلامية بطريقة تكاملية منهجية.

وتكمن أهمية هذا المنهج في أنه يناقش السيرة النبوية وأحداثها ورواياتها في ضوء النصوص القرآنية المحكمة والأحاديث النبوية الثابتة ووفق الأصول والقواعد التي التزم بها علماء المسلمين في باقي العلوم الإسلامية، ومن ثم يضمن الحدَّ من التفسيرات المنحرفة لأحداث السيرة ومراحلها.

وقد دعا إلى هذا المنهج الشيخ محمد الطيب النجار – رحمه الله – عندما قال: "وواجب المؤرخ الذي يتصدى للكتابة عن سيرة الرسول – ﷺ – أن يستضيء – أول ما يستضيء – بكتاب الله – عز وجل –، ثم يلي ذلك في الأهمية كتب السنة الصحيحة، ولكن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يتعرضان إلا لبعض النواحي الخاصة من حياة الرسول – ﷺ –، ويتعرضان لها في إجمال يحتاج إلى كثير من التوضيح والتفصيل، ومن هنا كان لا بد من المراجع الأساسية في التاريخ، وأهمها: سيرة ابن هشام، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والطبقات الكبرى لابن سعد ... إلى غير ذلك من المراجع الأصيلة.

ويبقى بعد ذلك ما كتبه المؤرخون المحدثون، ولا بد من الرجوع إلى كتبهم حتى يستنير بها إن كانت صحيحة، أو يضيف إليها – بقدر المستطاع – ما يمكن أن يهتدي إليه من آراء جديدة، أو يفند ما جاء في بعضها من الآراء التي لا تستند إلى أساس سليم"[١].

رابعًا: أهمية التفريق بين بشرية الرسول ونبوته في التعاطي مع السيرة النبوية

إذ من المسلَّمات في الفكر الإسلامي ضرورة التفريق بين بشرية الرسول – ﷺ– ونبوته عند استقاء الأحكام الشرعية وتكييفها مع الواقع، فما ثبتت بشريته – ﷺ – في التصرُّفات والأفعال لا يكون من قبيل التشريع الملزم للأمة، وإنما يحسن الاقتداء به فقط.

والأصل في ذلك ما روي عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ – ﷺ – الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»[٢].

وفي ذلك يقول ابن حزم – رحمه الله –: "فهذا بيانٌ جليٌّ مع صحة سنده في الفرق بين الرأي في أمر الدنيا والدين، وأنه – ﷺ – لا يقول الدين إلا من عند الله – تعالى –، وأنَّ سائر ما يقول فيه برأيه ممكن فيه أن يشار عليه بغيره فيأخذ – عليه السلام – به؛ لأن كل ذلك مباح مطلق له، وإننا أبصر منه بأمور الدنيا التي لا خير معها إلا في الأقل، وهو أعلم منا بأمر الله – تعالى – وبأمر الدين المؤدي إلى الخير الحقيقي"[٣].

---

١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، الطيب النجار، (صـ ٧ – ٨).

٢) صحيح مسلم، (٤/ ١٨٣٥)، رقم (٢٣٦٢).

٣) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، (٥/ ١٣٨، ١٣٩)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

والأمر الذي يدعونا إلى ضرورة مراعاة هذه التفرقة أننا قد وجدنا بعض المتشددين الذين خلطوا بين ما هو بشري ونبوي في حياة النبي – ﷺ – وتصرفاته، وحرصوا على حمل الأمة الإسلامية بكل ما ورد في السيرة النبوية المباركة دون النظر إلى هذه التفرقة ومتغيرات الواقع.

لذا يتطلب الأمر إعداد الدراسات والبحوث الجادة التي تبرز هذه التفرقة في السيرة النبوية، وتؤكد مشروعية الاجتهاد في التصرفات النبوية الدنيوية بما يتوافق مع الواقع ومتغيراته.

خامسًا: ضرورة صياغة نظريات جديدة للعلاقات الدولية من خلال السيرة النبوية

إذ تمثل العلاقات الدولية جانبًا مهمًّا من جوانب السيرة النبوية، ومن ثم كثرت المؤلفات والمصنفات التي تتناول العلاقات الدولية في الإسلام من خلال السيرة النبوية، فمنها من قامت بدراسة العلاقات الخارجية في السيرة النبوية وفق المنهج التكاملي الذي يربط بين أحداثها ووقائعها ونصوص القرآن الكريم المحكمة والأحاديث النبوية المتواترة(١)، ومنها من حرصت على بتر النصوص عن سياقها الزمني والمكاني وقامت بالاستدلال بها على السلوكيات والأفكار المنحرفة(٢).

وبما أن العالم الدولي يسعى الآن إلى عقد اتفاقيات للسلام بما يحقق مصالح الإنسانية جمعاء، فيجب على الباحثين والأكاديميين إعادة صياغة نظريات جديدة للعلاقات الدولية من خلال السيرة النبوية تدعم هذه المساعي الحميدة التي تُحقن من خلالها الدماء وتحافظ على ما نقوم به من البناء والعمران.

وعلى سبيل المثال فمن خلال دراسة "صلح الحديبية" (٦هـ) وتحليل ما ورد فيها من نصوص يمكننا صياغة نظريات مهمة وجديدة في العلاقات الخارجية، تشمل: الحوار مع الآخر، والتفاوض معه من أجل المصالحة وتحقيق المصالح

١) وفي مقدمتها "العلاقات الدولية في الإسلام" للشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله)، "الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب"، الشيخ محمود شلتوت (رحمه الله).

٢) مثل: "العلاقات الدولية في الإسلام"، فارس بن أحمد آل شويل الزهراني.

الإنسانية المشتركة، والمحالفة والمصادقة التي تحقن الدماء وتعصم النفوس من الاعتداء، وعقد الاتفاقيات الأمنية المتبادلة التي تقوم على حماية المصالح الدولية المشتركة وتأمينها، وتأسيس مبدأ الاعتراف بالكيانات والدول الأخرى، وضرورة تحقيق المصالح الكلية للشريعة الإسلامية في السياسة الشرعية دون النظر إلى الجزئيات والفرعيات، والتنازل عن بعض الحقوق لتحقيق مصالح الكبرى.

وذكر النصوص الدالة على ما سبق هنا ودراستها وتحليلها يحتاج إلى دراسات وبحوث متعددة تعنى بصلح الحديبية عناية شديدة من جميع جوانبه السياسية والاقتصادية والمجتمعية، لكننا في هذا البحث سنشير إلى أمور مهمة متعلقة بما ورد من نصوص خاصة بصلح الحديبية، وذلك كما يلي:

١) تقرير مبدأ الشورى في الأمور السياسية

وهذا المبدأ من المبادئ الأصيلة التي قررها الإسلام وأوصى بها؛ نظرًا لما له من آثار حميدة تعود على الفرد والمجتمع، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[١].

وهذه الآية وإن كانت قد نزلت في مدح الأنصار لاعتمادهم مبدأ الشورى في جميع أمورهم إلا أن الله عز وجل قد أثنى عليه بشكل عام، وفي ذلك يقول الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وَإِذْ قَدْ كَانَتِ الشُّورَى مُفْضِيَةً إِلَى الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ آثَارِهَا أَنِ اهْتَدَى بِسَبَبِهَا الْأَنْصَارُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَثْنَى اللَّهُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ دُونَ تَقْيِيدٍ بِالشُّورَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَشَاوَرَ بِهَا الْأَنْصَارُ فِي الْإِيمَانِ وَأَيُّ أَمْرٍ أَعْظَمُ مِنْ أَمْرِ الْإِيمَانِ"[٢].

---

١) (الشورى، ٣٨).

٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (٢٥/ ١١٢)، الدار التونسية للنشر – تونس – (١٩٨٤م).

وقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[1].

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الشُّورَى مَأْمُورٌ بِهَا الرَّسُول ﷺ فِيمَا عَبَّرَ عَنْهُ بِ (الْأَمْرِ) وَهُوَ مُهِمَّاتُ الْأُمَّةِ وَمَصَالِحُهَا فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ... فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُشَاوَرَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا هُنَا هِيَ الْمُشَاورَةِ فِي شؤون الْأُمَّةِ وَمَصَالِحِهَا"[2].

وقد تقرر هذا المبدأ في صلح الحديبية بشكل عملي كما جاء في الصحيح: "**وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»**[3].

٢) الرغبة في السلام حتى مع الأعداء والمشركين

يعتبر الإسلام مبدأ السلام والتسالم في العلاقات الخارجية مع غير المسلمين مبدأ أصيلًا وقويًا لتحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي؛ لذا قد حث عليه الإسلام وأمر به في كثير من النصوص الدينية وطبقه النبي ﷺ بشكل عملي من خلال سيرته المباركة.

يقول تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[4].

---

١) (ال عمران، ١٥٩).
٢) التحرير والتنوير، (٤/ ١٤٧) باختصار.
٣) صحيح البخاري، ك المغازي، ب غزوة الحديبية، (٥/ ١٢٦)، رقم (٤١٧٨).
٤) (الأنفال، ٦١).

وفي هذه الآية يقرر الإسلام أن مجرد ميل العدو للسلم ونبذ الحرب يكفي لقبول المسلمين وخضوعهم للسلم دون الحرب، وفي ذلك يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله: "انْتِقَالٌ مِنْ بَيَانِ أَحْوَالِ مُعَامَلَةِ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ: مِنْ وَفَائِهِمْ بِالْعَهْدِ، وَخِيَانَتِهِمْ، وَكَيْفَ يَحِلُّ الْمُسْلِمُونَ الْعَهْدَ مَعَهُمْ إِنْ خَافُوا خِيَانَتَهُمْ، وَمُعَامَلَتِهُمْ إِذَا ظَفِرُوا بِالْخَائِنِينَ، وَالْأَمْرُ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهُمْ إِلَى بَيَانِ أَحْكَامِ السِّلْمِ إِنْ طَلَبُوا السَّلْمَ وَالْمُهَادَنَةَ، وَكَفُّوا عَنْ حَالَةِ الْحَرْبِ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ لَا يَأْنَفُوا مِنَ السَّلْمِ وَأَنْ يُوَافِقُوا مَنْ سَأَلَهُ مِنْهُمْ"(١).

وقد أكد الرسول ﷺ هذا المبدأ في صلح الحديبية، فقد جاء في السنن: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**"(٢).

٣) تقرير مبدأ الحوار والتفاوض في السياسة

وقد تقرر مبدأ الحوار من خلال المحاورات والمراسلات التي تمت بين النبي ﷺ والمشركين بمكة، عن طريق بشر بن سفيان الكعبي، وبُدَيْلٌ بن ورقاء ورجال خزاعة، ومكرز بن حفص بن الأحنف أحد بني عامر بن لؤي – **رَسُولُ قُرَيْشٍ إِلَى الرَّسُولِ** –، والْحُلَيْسُ بن علقمة الكناني سيد الأحابيش – **رَسُولٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الرَّسُولِ** –، وعروة بن مسعود – **رَسُول مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الرَّسُولِ** – وخراش ين أمية الخزاعي – **رَسُولُ الرَّسُولِ إِلَى قُرَيْشٍ** –، وعثمان بن عفان – **رَسُولُ مُحَمَّدٍ إِلَى قُرَيْشٍ** –، وسهيل بن عمرو – رسول قريش إلى الرسول(٣).

وتقرر مبدأ التفاوض – أيضًا – عندما جلس النبي ﷺ لكتابة بنود الصلح مع سهيل بن عمرو ، ومما ورد في ذلك: "**ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اُكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ: فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ اُكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهمّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اُكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهمّ، فَكَتَبَهَا، ثُمَّ**

١) التحرير والتنوير، (١٠/ ٥٨).

٢) سنن أبي داود، ك الجهاد، ب في صلح العدو، (٣/ ٨٥)، رقم (٢٧٦٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – بدون.

٣) تراجع النصوص الدالة على ذلك في سيرة ابن هشام، (٢/ ٣٠٩ وما بعدها).

قَالَ: أُكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أُقَاتِلْكَ، وَلَكِنْ اُكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اُكْتُبْ:

هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنْ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً ، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ"(١).

٤) تقرير مبدأ الوفاء بالعهود والمواثيق

برغم عداوة المشركين للنبي ﷺ، وحاجته الماسة ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم للرجال المؤمنين بالنبي ودعوته، إلا أن النبي ﷺ قد التزم بما أبرمه من اتفاق وميثاق مع المشركين، فقد ورد **أنه بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي الْفَتْحِ، لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْ الصُّلْحِ وَالرُّجُوعِ، وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، حَتَّى كَادُوا يُهْلِكُونَ، فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلٌ أَبَا جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ لَجَّتْ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَجَعَلَ يَنْتُرُهُ بِتَلْبِيبِهِ، وَيَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ فَزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ، قَالَ: فَوَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ يَمْشِي إِلَى**

١) سيرة ابن هشام، (٢/ ٣١٧، ٣١٨).

جَنْبِهِ، وَيَقُولُ: اصْبِرْ يَا أَبَا جَنْدَلٍ، فَإِنَّمَا هُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ. قَالَ: وَيُدْنِي قَائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ. قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبُ بِهِ أَبَاهُ، قَالَ: فَضَنَّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ، وَنَفَذَتْ الْقَضِيَّةُ(١).

وغير ذلك من المبادئ السياسية التي تحتاجها الأمة اليوم في علاقاتها الخارجية مع العالم.

سادسًا: تجديد الخطاب الديني والدعوي والثقافي حول السيرة النبوية وأحداثها

فإذا قمنا بدراسة الخطاب الدعوي والثقافي في الفترة الماضية سنجد أن أغلبه يتناول السيرة النبوية من ناحية الغزوات والسرايا وأحداث الجهاد التي وقعت بين المسلمين وغيرهم؛ بصورة تلهب عاطفة الجماهير الجياشة وتثير مشاعرهم وحماستهم وتبث روح الكراهية تجاه الآخر مهما كانت عقيدته أو ملته، الأمر الذي تسبب في ظهور بعض السلوكيات المنحرفة التي ترفض التعايش مع الآخر وقبوله في المجتمع.

ومن خلال النظر والاستقراء وجدنا كذلك خطابًا دعويًا يريد تحويل السيرة النبوية إلى مجرد قصص وقصائد غزل وصلوات مبهمة لا قيمة لها في حياة المسلمين اليوم، وفي ذلك يقول الشيخ محمد الغزالي: "ومحمد ليس قصة تتلى في يوم ميلاده كما يفعل الناس الآن، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تضم إلى ألفاظ الأذان ولا إكنان حبه يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون، ويتأوهون أو لا يتأوهون! فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين"(٢).

وهذا يؤكد لنا ضرورة تجديد الخطاب الديني والدعوي والثقافي الخاص بالسيرة النبوية وأحداثها، ويبين أهمية إظهار الصور المشرقة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية فيها، كما يبرز صور التسامح والتعايش والتسالم بين جميع أفراد المجتمع مهما كانت عقيدتهم أو مذاهبهم، الأمر الذي سيؤدي إلى استقرار المجتمع وتحقيق أمنه.

---

١) سيرة ابن هشام، (٢/ ٣١٨ ، ٣١٩).

٢) فقه السيرة، (صـ ٥).

سابعًا: ضرورة مراعاة المقاصد الشرعية في التعاطي مع السيرة النبوية وتكييفها مع الواقع

إذ لا يمكن لنا أن نقوم بدراسة السيرة النبوية والاستدلال بها بشكل جزئي أو منفرد في أي قضية ما بعيدًا عن كليات الشريعة الإسلامية ومقاصدها المعتبرة(١)؛ حيث إن دراستها على هذا النحو تؤدي في النهاية إلى خلل في الفهم وانحراف في التطبيق.

وعلى هذا يجب علينا أن نقوم بأمرين:

الأول: قراءة السيرة النبوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، بحيث تكون المقاصد والحكم الشرعية ضابطًا رئيسًا في قبول روايات السيرة، وفهمها، ومنهجية توظيفها في الواقع المعاصر.

الثاني: ضرورة التأصيل والتقعيد لمقاصد الشريعة الإسلامية في ضوء السيرة النبوية، وذلك مثل: مقصد الرحمة، ومقصد التسامح والتعايش، ومقصد العمران والبناء، ومقصد التواصل الحضاري، ومقصد التكافل الاجتماعي، ومقصد التدرج في التشريع والأحكام، وغيرها من المقاصد الشرعية التي يمكن استخراجها من روايات السيرة النبوية وأحداثها واستثمارها في دعم قيم السلم والرحمة في الواقع المعاصر.

وبالحديث عن ضرورة مراعاة مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها في التعاطي مع السيرة النبوية ينتهي هذا البحث، والله أسأل أن يرزقني فيه التوفيق والعون والسداد. اللهم آمين.

(١) المقصود بـ «مقاصد الشريعة»: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها". مقاصد الشريعة الإسلامية، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، (صـ ٢٥١)، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن – ط الثانية، (١٤٢١هـ = ٢٠٠٢م).

الخاتمة

أحمد الله تبارك وتعالى على ما وفقني إليه من اختيار هذا الموضوع وإنجاز بحثه ودراسته، راجيًا أن يخرج على النحو اللائق به شكليًا ومنهجيًا وموضوعيًا، فإن شارف حد الإبانة والصواب فهذا من فضل الله وتوفيقه، وإن اعتراه قصور أو نقصان فهذا هو المعهود من عجز البشر، وأسأل الله تعالى المغفرة، وهذه خاتمة تحوي أهم نتائج البحث وثماره، وتوصياته:

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

١) بان أن السيرة النبوية من أهم مصادر التشريع في الإسلام، فضلًا عن كونها من أهم مظان المعرفة والثقافة الإسلامية؛ وذلك لأنها بمثابة التطبيق العملي للنبي محمد ﷺ الذي جسد من خلاله شرائع الإسلام ومبادئه المتعددة.

٢) اتضح أن أغلب الدراسات حول السيرة النبوية – القديمة منها والمعاصرة – تهتم بمجرد السرد القصصي والتاريخي فقط، ومنها من اهتم بتجلية جوانب الصراع القائم – بشكل عارض – بين المسلمين والمشركين في العهد النبوي محاولًا تطبيق هذه الجوانب على المجتمعات الإنسانية اليوم؛ لذا كانت الحاجة الماسة للحديث عن المنهجية الصحيحة للتعاطي مع السيرة النبوية في العصر الحاضر.

٣) ظهر أن المنهجية الصحيحة والمعتبرة – التي ندعو لها – في التعاطي مع السيرة النبوية تمدنا بالأصول والأسس التي من خلالها نستطيع الرد على الجماعات المنحرفة ونقض أفكارها ومبادئها وتفنيد زعمها.

٤) ضرورة تجلية المقاصد الإنسانية للدعوة الإسلامية من خلال دراسة السيرة النبوية دراسة جادة وواعية بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

٥) ظهرت مدى الحاجة إلى إعداد المحتويات العلمية والدراسية التي تجلي قيم التسامح والرحمة في السيرة النبوية وتحليلها، والتي تبدأ بتشكيل نخبة متميزة من الأساتذة الأكفاء المتخصصين في السيرة النبوية وموضوعاتها وكذلك من المتخصصين في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة.

٦) ضرورة تنقية السيرة النبوية من الدخيل والضعيف والموضوع، واعتماد ما صحَّ من رواياتها فقط، دون النظر إلى غيرها من الروايات، وتضمين ذلك في المقررات الدراسية، الأمر الذي سيسهم بشكل كبير في إيضاح قيم السلم والتعايش والتسامح.

٧) ضرورة المنهج التكاملي الذي يقوم بدراسة السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقواعد الجرح والتعديل وباقي العلوم الإسلامية بطريقة تكاملية منهجية؛ للإسهام في الحدَّ من التفسيرات المنحرفة لأحداث السيرة ومراحلها.

ثانيًا: التوصيات

١) ضرورة أن تهتم المؤسسات العلمية والأكاديمية بالدراسات المنهجية والتأصيلية للعلوم الإسلامية المتنوعة، بهدف إيجاد التوافق بين هذه العلوم ومتطلبات الواقع المعاصر، ويمكن ذلك من خلال البحوث والرسائل العلمية.

٢) أوصي المؤسسات الإعلامية بضرورة إعادة النظر في الأعمال التاريخية السينمائية وفق هذه المنهجية التي أصلنا لها في هذه الدراسة؛ حتى لا تكون أداة في تشويه صورة الإسلام وسيرة النبي ﷺ.

٣) أوصي الخطباء والوعاظ والأئمة بضرورة إعادة النظر في مضمون الخطاب الدعوي – المتعلق بالسيرة النبوية – الذي نقدمه للمدعوين وفق هذه المنهجية التي بانت بشكل جيد في هذه الدراسة؛ لأن المضمون الدعوي الذي لا يراعي هذه المنهجية قد يساعد في نشر أفكار التطرف والإلحاد.

٤) أوصي المؤسسات الدينية والمعنية بالشؤون الإسلامية في العالم بضرورة النظر في مقررات السيرة النبوية وفق هذه المنهجية؛ وتجديد مضامينها تجديدًا يتوافق والواقع ويسهم في بناء المستقبل، وأن تتبنى برامج توعوية تهتم بالسيرة النبوية ودورها في تعزيز قيم التسامح والعيش المشترك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، سبحان من أنزله.

١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢) البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، د/ محمد الصاوي محمد مبارك، المكتبة الأكاديمية – القاهرة – ط: الأولى (١٩٩٢م).

٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس – (١٩٨٤م).

٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٥) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

٦) سلسلة العلاقات الدولية في الإسلام، أبي جندل فارس بن أحمد آل شويل الزهراني الأزدي، بدون.

٧) سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت – (١٩٩٨م).

٨) سنن أبي داود، ك الجهاد، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – بدون.

٩) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م).

١٠) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

١١) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

١٢) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون.

١٣) العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة - (١٤١٥هـ = ١٩٩٥).

١٤) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت - الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

١٥) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة - القاهرة - ط السابعة (١٩٦٥م).

١٦) القول الطيب، من كلمات وحاضرات الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر، (١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣، ٣٣٤)، دار الحكماء للشنر - أبوظبي - الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م).

١٧) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان.

١٨) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - (١٤١٤هـ).

١٩) المستدرك على الصحيحين، الإمام الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).
٢٠) مسند أحمد،)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).
٢١) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د/ فاروق حمادة، دار القلم – دمشق – بدون.
٢٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة – بدون.
٢٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، بدون.
٢٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
٢٥) مقاصد الشريعة الإسلامية، العلامة محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس – الأردن – ط الثانية، (١٤٢١هـ = ٢٠٠٢م).
٢٦) مقالات في السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير – دمشق ، بيروت – الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).
٢٧) مناهج البحث الفلسفي، د/ محمد أحمد مصطفى السرياقوسي، دار الثقافة – القاهرة – (١٩٩٠م).
٢٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، (١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م).